

٤ - حكاية الوفد الكسرى لأستاذ جليل

٣ - يقول النعمان لكسرى :

« ... فأما عزها - بمعنى العرب - ومنعتها فإنها لم تزل
مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ، ووطدوا الملك ، وقادوا
الجند لم يطعم فيهم طامع ، ولم يتلهم نائل ... »

وهذا قول لا يقوله عامل لعله ، ولا وال لموليه . وكيف
يلقو بمثله وجند كسرى في بلاده وفي اليمن يجوس خلالها ،
والدرفس^(١) يخفق فوق الرؤوس

إنما كان النعمان مُشرطياً^(٢) عند كسرى يصد الدلفين
والقراضيب عن اجتياز النخوم . كان أمير (الحيرة) لا ملك
(الجزيرة) يدعو - أسرا - هذا من اليمن وذاك من نجد
وذلك من تهامة وغيرهم من غيرها فيبادرون إليه ، ويمثلون بين
يديه ، ويقول : قد سمعت من كسرى كيت وكيت قفدوا عليه
« فإذا دخلتم نطق كل رجل بما حضره ليعلم أن العرب على غير
ما ظن أو حديثه نفسه »

لم يكن النعمان هناك - كما زوجه الزوق المنمق . ولا غضب
عليه كسرى - والسبب الحق للغضب جهول - ضاقت عليه
الأرض ، ولم ينفعه أو ينجده مثرثر من جماعة (الوفد)
« وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحد منهم يقبله »
« وأراد طيئاً على أن يدخلوه الجبلين ويمنموه فأبوا ذلك عليه ،
وقالوا له : لولا صهرك لقاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا إلى معاداة
كسرى ، ولا طاقة لنا به » « غير أن بني رواحة بن قطيعة
بن عبس قالو : إن شئت قاتلنا معك ، لئنه كانت له عندهم ، قال
ما أحب أن أهلكم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى » ، ثم

(١) الدرفس : العلم الكبير ، ودرفس حل العلم الكبير ، نقله
الساغاني عن ابن عباد (التاج) قال البصري في سيبته المصهورة التي
مطلها : « صنت نفسي عما يدنس نفسي » :

والنابا موائل وأوشر - وأن يزجي الصفوف تحت الأرض

(٢) الصواب في الصرطي سكون الراء نسبة إلى الصرطة والصريك
خطأ لأنه نسب إلى الصرط الذي هو جمع (الأساس)

« أتى هانيء بن مسعود^(١) فاستودعه ماله وأهله وألف شكته ،
ويقال : أربعة آلاف شكته ، والشكته السلاح كله » وهذا قول
أبي الفرج في الأغاني . والطبري في تاريخه يقول : « والمقلل
يقول : كانت (٤٠٠) درع ، والمكثّر يقول : كانت (٨٠٠) »
ومضى إلى سيده كسرى « فلما بلغ كسرى أنه بالباب بمت

إليه فقيده وبمت به إلى سجن كان له بخاتنين فلم يزل فيه حتى
وقع الطاعون هناك فمات فيه » ، وقيل « بل مات في ساباط
في حبسه » وقيل « ألقاه تحت أرجل الفيلة حتى مات » ، وقيل
« لم يزل محبوساً مدة طويلة ، وإنما مات بعد ذلك بخنين قبيل
الإسلام » « فلما قتل كسرى النعمان استعمل إلياس بن قبيصة
الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان » قال أبو الفرج :
« وغضبت له (أي للنعمان) العرب حينئذ ، وكان قتله سبب
وقعة ذي قار »

والعرب لم تغضب لمصير هذا الأمير المسكين ، ولم يكن قتله
سبب تلك الوقعة ، وإنما سببها - إن ثبتت - « أن كسرى
بمات إلى إلياس : أين تركه النعمان ؟ قال : قد أحرزها في بكر
ابن وائل . فأمر كسرى إلياس أن يضم ما كان للنعمان ، ويبعث به
إليه ، فبعث إلياس إلى هانيء أن أرسل إلى ما استودعك النعمان
من الدروع وغيرها ، فأبى هانيء أن يسلم خفارتها ، فلما منعها
غضب كسرى ، وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وعنده
يومئذ النعمان بن زرعة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل
فقال لكسرى :

يا خير الملوك ، أدلك على غرة بكر ؟

قال : نعم

قال : أهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على
ماء لهم يقال له : (ذو قار) تساقط القراش في النار ، فأخذتهم
كيف شئت ، وأنا أ كفيكم . فترجموا له قوله (تساقطوا
تساقط القراش في النار) فأقرهم

(١) قال أبو عبيدة : قال بعضهم : لم يدرك هانيء بن مسعود هذا
الأمر (الطبري)

(قلت) : فإذا لم يدركه هانيء بن مسعود هنا فليكن هانيء
ابن قبيصة ابن هانيء بن مسعود حتى يمتنى الخبر

احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصهره ، فبعث إليك فقال : ما هؤلاء النسوة ؟

فقال : هذه صفهن قد جئنا بها ...
[معتدلة الخلق ، نقيه اللون والثغر ، بيضاء قرأه وطفاء كحلاء دجحاء حوراء عيناء قنواء شماء برحاء زجاء ، أسيلة الخلد ، شهية المقبل ، جثلة الشعر ، عظيمة الهامة ، بعيدة مهوى القرط ، عيطاء^(١) ، عريضة الصدر ، كاعب الثدي ، ضخمة مُشاش المنكب والعنق ، حسنة المعصم ، لطيفة الكف ، سبعة البنان ، ضامرة البطن ، خميسة الخصر ، غرثى الوشاح ، رداح الأقبال^(٢) ، رابية الكفل ، لغاء الفخذين ، ريا الروادف ، ضخمة الماكيتين ، منعمة الساق ، مشبعة الخللخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قطوف المشي ، مكسال الضحى ، بضة التجرد سموغاً لاسيد ، ليست بخنساء ولا سفماء ، رقيقة الأنف ، غريزة النفس ، لم تفذ في بؤس ، حبيبة رزينة ، حليلة ركيئة ، كريمة الخلال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغنى بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمور في الأدب ، فرأبها رأى أهل الشرف ، وعملها عمل أهل الحاجة ، صناع الكفين ، قطيع اللسان^(٣) رهوة الصوت ساكنته ، ترين الولى ، وتشين المدو ، إن أردتها اشتهدت ، وإن تركتها انتهت ، تخلق عيناتها ، وتحمّر وجنتاها ، وتذبذب شفقتها ، وتبادرك الوثبة إذا قت ، ولا تجلس إلا بأمرك إذا جلست]

... فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ، وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ؟

فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما لها والمين ؟

فقال له بالفارسية : « كاوان » أى البقر . فأمسك الرسول ، وقال زيد للنعمان : إنمأ أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به . ثم كتب « النعمان » إلى كسرى :

(١) طويلة العنق

(٢) فى الطبرى : القبل

(٣) فلان قطيع اللسان . خلاف سليطه وقطيع الكلام (الأساس)

وفى التاج : (امرأة قطيع الكلام إذا كانت غير سليطة) وروى الأساس : قطيع القيام قطيع الكلام تفر عن ذى غروب خصر والرواية فى الأغاني والطبرى قطيعة . وقد أشار محققو الطبعة الأخيرة للأغاني إلى ذلك ، وذكروا قول اللسان والقاموس ، ويؤيد البيت فقدان الماء

وبعث إلى هانى وجماعته جنوداً عربيين^(١) وجنوداً فارسين ، وكانت تلك الوقمة ، إن كانت

وقد عزوا إلى رسول الله (صلوات الله وسلامه عليه) هذا القول : « هذا يوم (أو ذلك يوم) انتصفت فيه العرب من المعجم ، وبى نصرها . أو اليوم انتصفت العرب من المعجم » وهم الأخباريون وغير الأخباريين يصوغون كما يحبون ويشتهون فى الأغاني : كانت وقمة ذى فار بمد وقمة بدر بأشهر ، ورسول الله بالمدينة . فلما بلغه ذلك قال : هذا يوم الخ وهنا شيء يقال : إذا كانت التركة (السابق ذكرها) كما أحصوا (٤٠٠) درع أو (٨٠٠) درع فنحن بين أمرين : إما أن يكون الراوون قد رأوا مارووا فى المنام ، وكثيراً ما بنيت أشياء بل ديانات على المنامات - وقصة قسطنطين مشهورة - وإما أن يكون كسرى قد جن جنوناً كبيراً حتى يبعث تلك الجيوش وينفق المال الكثير للاستيلاء على حفير .

قلت من قبل : إن السبب الحق لفضب كسرى على عامله النعمان مجهول ، ولكن صائفاً بارعاً (لله دره) صاغ لنا خبراً طريفاً غريباً فى سبب النضب ، طرافته وغرابته تدعوان إلى روايته :

« كانت ملوك المعجم صفة من النساء مكتوبة عندهم^(٢) ، فكانوا ييمنون فى تلك الأرضين بتلك الصفة ، فإذا وُجِدت حملت إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ، ولا يظنونها عندهم ، ثم إنه بدأ الملك فى طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتِبَ بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عدى وهو فى ذلك القول ، فخطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنى رأيت الملك قد كتب فى نسوة يُطلبن له وقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة ... فابشنى وابعث معى رجلاً من ثقافتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبه ... فبعث معى رجلاً جلدلاً فهماً فخرج به زيد ... حتى بلغ الحيرة ، فلما دخل عليه (على النعمان) ... قال : إنه (يعنى الملك) قد

(١) يراجع (يوم ذى قار) فى العقد ، وهو فى آخر أيام الرب ووقائمه فيه

(٢) أنو سروان أمر بانبات هذه الصفة فى دواوينه ، فلم يزالوا يوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . (الأغاني ، الطبرى)